السينما في مواجهة السياسة

«الآباء الصغار»: مشروع درامي لتحقيق الوحدة العربية

القاهرة ـ «القدس العربي»:

ليس من بين المفردات السينمائية في قاموس الفنان السوري الكبير دريد لحام كلمة «التسلية» فلا تعني الكوميديا لديه فاصلا مضحكا ولا سخرية تتأسس مقوماتها على الهزل، من يتأمل مسيرة دريد الفنية يلاحظ أنها محطات يتوقف فيها عند معان أكبر بكثير من المفهوم الدارج للكوميديا ومبدأ الضحك للضحك الذي صار تبريرا واهنا لمزيد سخائم الأفلام المحشوة بوافر العبارات السوقية وأرخص الصور الاجتماعية الدالة على العمى الدرامي الذي أصاب البصر والبصيرة فأعجز الكتاب عن رؤية ما هو أجدر بالطرح من قضايا تستأهل المناقشة وتستوجب العرض.

إن شيئا من كل هذا الإحباط لم يصب دريد لحام بالعطب لكنه ظل متفائلا يقظا مؤمنا أن للسينما دور مغاير لهذا العبث، فما لبث أن قدم وسط هذا الركام الرديء من الأعمال السينمائية عملا فارقا يصلح أن يكون عنوانا للموسم الشتوي كله، إذ فرض دريد بطرحه الجاد والمتجدد قداسة خاصة على فيلمه «الآباء الصغار» فجعله يتصدر الصفحات الفنية في معظم الصحف والمجلات معطيا لها مذاقا خاصا مرتقيا بالتناول النقدي الذي كان قد أوشك أن يتحول إلى مساخر ومجاملات تبعا لما هو معروض وتماشيا مع قاعدة الارتباط الشرطي بين مستوى المنتج الفني وما يتبعه من تحليل، فالقاعدة تحتم على الناقد أن يهبط بلغته النقدية أو يعلو بها حسب درجة انفعاله وتأثره، وهذا ما يمكن أن يقال عنه التأثير والتأثر بالإيحاء في قوانين النقد الفني.. وربما كان فيلم «الآباء الصغار» هو فصيل من ذلك النوع الدرامي الذي يفرض على الناقد لغته فيجعله منتبها طوال الوقت للتفاصيل التي تشكل المعاني الباطنة للصورة والحوار وإن بدا كلاهما بسيطا وسهل الاستيعاب، وهي الحيلة الذكية التي يراهن عليها النجم العربي الكبير دريد لحام في إيقاظ وعي المتلقي وتنشيط حواسه كي يصبح هو نفسه شريكا في الرسالة وجزءا لا يتجزأ منها كما حدث في أعماله السابقة التقرير والحدود وكفرون إلى آخر أفلامه التي بلغت 22 فيلما نال عنها عشرات النياشين والأوسمة كمقابل أدبي يستحقه عن جدارة، فهو الفنان الذي طالما عنى بهموم وطنه وكرس جهده للتعبير عن قضاياه ومشكلاته، بل إنه تجاوز في رسالته حدود واقعه الجغرافي السوري ليشمل كل البلدان العربية قاطبة منطلقا كعادته من معطيات إنسانية كتلك التي طرحها في «الآباء الصغار» وهم مجموعة الأطفال الأربعة الذين تركتهم أمهم بعد الوفاة في كنف أب فقير يعمل شرطيا برتبة مساعد «صف ضابط» فيقف عاجزا أمام قسوة الحياة والسن الحرجة للأطفال الأربعة الذين يرمز لهم في الفيلم بالعائلة العربية التي لم تبلغ سن الرشد وتحتاج لعائل كبير كي يلملم شتاتها ويحافظ على تماسكها موجها الأنظار إلى مصر باعتبارها الشقيقة الكبرى ماداً الخط الدرامي مع الخط السياسي ليصل الاثنان إلى قصة رومانسية تنشأ بين البطل «عبد الودود» والبطلة المصرية «أمل» التي جاءت إلى سورية لدراسة تاريخ دمشق القديمة فانضمت إلى العائلة الصغيرة وصارت صديقة حميمة للأب والأبناء، وهي العلاقة التي نسج منها السيناريست والمخرج دريد لحام خيوط المنوال السياسي ليكون التوازي بين الرمز والرؤية الدرامية متضافرا ومفضيا إلى ما يرمي إليه الإسقاط، حيث الحاجة إلى التكاتف العروبي القومي أصبحت ملحة في ظل الظروف الراهنة وحالة التربص الأمريكي الصهيوني بالبلاد، وكما يسعى الفيلم في مجمله لمراجعة الحسابات وإيجاد صيغ جمالية للمصالحة العربية ـ العربية، يوجه أيضا نقدا ذاتيا للحكومات التي اعتمدت على التفاوض كحل أوحد في التعامل مع العدو وركنت إلى فرضية الأمر الواقع دون أي محاولات جادة من جانبها لتقريب وجهات النظر والاتفاق على موقف جمعي موحد يهدف إلى توحيد الصفوف والتصدي للقوى الاستعمارية الباطشة التي اجتاحت لبنان والعراق وتتحرش بسورية وتحاول الإيقاع بإيران في مصيدة السلاح النووي وتخصيب اليورانيوم وغيرها من مقدمات وذرائع الهيمنة واستغلال الثروات وتشريد الشعوب.

وهكذا تتشكل معطيات القراءة السياسية على ضوء الصراع الدائر ومفهومه السلبي عند دريد ليترجمه بشكل حرفي إلى دراما إنسانية ـ اجتماعية يكون طرفاها الرئيسان مصر وسورية متمثلين في شخصيتي عبد الودود وامل «حنان ترك» اللذين تربطهما علاقة تتوطد بتجاوز حاجز اللهجة وعبور عبد الودود الأزمة بعد عودته للجامعة وتخرجه في كلية الحقوق في دلالة واضحة لحاجة الدول المنكوبة للعودة إلى حضن الجامعة العربية وتفعيل دورها والمطالبة بكافة الحقوق المهدورة والمغتصبة، إذ أن العدل والقانون هما ميزان الكون..

ولعل الشيء المدهش في هذا الجزء هو الطرح المثالي لفكرة تحقيق العدل بهذه السهولة والتعويل الكامل في انتزاع الحقوق على القانون الدولي والمنظمات المعنية بهذا الشأن، الأمر الذي يمثل مفارقة كبرى ما بين المأمول والممكن فليس بالضرورة أن تكون نتائج الوحدة العربية المنشودة مثمرة إلا إذا قابلتها رغبة صادقة من جانب المعنيين بتطبيق القانون الدولي ووالوسطاء الدبلوماسيين في رد الحقوق لأصحابها دون مراعاة حسابات التوازن والنظر بعين العطف لطفلة أمريكا المدللة «إسرائيل» التي تعد هي رأس الحربة في إشكالية الصراع داخل المنطقة العربية بدءا من فلسطين والجولان ونهاية بما تشعله من فتن ومؤامرات ويؤثر بدوره على الاستقلال الداخلي والخارجي لدول الجوار.

والإشارة في هذا السياق لمثالية دريد لحام مخرجا وسيناريست لا تعيب الفيلم من الناحية الفنية ولكن تحوله من أداة رصد إلى فانوس سحري يتم التعامل معه خارج المنطق باعتباره حلم يقظة يداعب أمانينا ورغبتنا المكبوتة في أن نصبح يدا واحدة ولنا وطن حر خال من المستعمرين والعملاء والخونة!

وقد يرى البعض ذلك مشروعا وأراه أنا كذلك أيضا، وإنما يظل السؤال الرئيسي ماثلا في الرأس.. هل يتحقق ذلك بغير نضال حقيقي وضريبة من الدم والمال والأنفس؟

أشك!

وهل بوسع السينما وحدها أن ترسم مستقبل الإنسان العربي كما تتمناه؟.. أتصور انه محض رومانسية.. ولكنني لست ضد الأحلام طالما أنها باتت الوسيلة الوحيدة التي نملكها.

إن ثمة شيئا يجعل أداء الفنان الكبير مختلفا في هذا الفيلم عنه في الأفلام السابقة التي ذكرنا بعضها في بداية المقال واتسمت غالبا بالسخرية، ربما يتمثل في «اليوتوبيا» السياسية أو ذلك الإيهام المحمود بإمكانية عودة المشروع الوحدوي بين الجانبين المصري والسوري تأسيا بما كان قائما بالفعل إبان المد الثوري والأيام الخوالي لزعامة «الجمهورية العربية المتحدة» في عهد الزعيم جمال عبد الناصر، وهو ما يلزم التنويه عنه وتسميته «باليوتوبيا» لاعتبارات تتعلق بالفوارق المرحلية بين الزمانين والتي لا يمكن حصرها في سطور معدودة أو حتى الإشارة إليها لأنها تحتاج لفيلم آخر لو أراد دريد لحام أن يجعل لفيلمه جزءا ثانيا يحكي فيه تجربة الوحدة السابقة.. ساعتها فقط تتضح الفوارق وتبرز تجليات المرحلة الناصرية وتقول السينما كلمتها بصراحة وتردد بأعلى الصور نشيد وطني الأكبر الذي غابت أصداؤه من الآذان منذ غياب الراعي الرسمي للوحدة العربية فبات عصيا أن تستعيد الأمة أمجادها وتنطق السينما بغير لغة السوق.. الحاحا في مقابل التفاهة!

حنان ترك في لقطة من الفيلم (القدس العربي)

دريد لحام مع الأطفال الأربعة في لقطة من الفيلم (القدس العربي)

قصة صبي يشهد ايام الحرب والقتل خلال الحرب الاهلية اللبنانية:

«زوزو» فيلم سويدي للمخرج اللبناني الأصل يوسف فارس

ستوكهولم ـ «القدس العربي»

ـ من عصمان فارس:

يعتبر فيلم «Zozo» من الافلام السويدية الجيدة والتي تضاف الى انجازات المخرج الشاب يوسف فارس بعد نجاح فيلمه «Jalla.. Jalla» والفيلم الثاني «Kops».. تمتاز افلام يوسف انها ذات مواضيع اجتماعية مهمة وفيها مسحة كوميدية صادقة وهي من نوع كوميديا الموقف. وفيلم «زوزو» ممتع يتناول حياة قصة صبي عمره عشر سنوات يعيش في بيروت ايام الحرب الاهلية اللبنانية وصوت القنابل والانفجارات و«زوزو» اسم الدلع لهذا الصبي وهو الشاهد على اجواء بيروت القتل والحرب والقتال العشوائي.. وسط اجواء الموت والمأساة تقرر عائلة زوزو الهجرة الى السويد للالتحاق بالاقارب وهما الجد والجدة يعيشان في السويد، وبعد رحلة مضنية الى السويد يلتحق الصبي بالمدارس السويدية لتعلم اللغة، وفي المدرسة يصادف بعض الطلاب وهم يسببون الازعاج له ويضايقونه وينهره الطلاب وينعتونه بالكلمات القاسية والمزعجة. وهو يخاف الاختلاط بهم، ومن المفارقات الكوميدية جده يشجعه على الخصام مع هؤلاء الطلاب وضربهم وهذه مخالفة للقوانين السويدية، ولكن مع ذلك زوزو يود ان يختلط مع الجميع وينسجم معهم دون اي مشاكل ولكن دون جدوى وهذا شيء صعب وغير واقعي، وشخصية زوزو الصبي هي سيرة ذاتية وانعكاس لشخصية يوسف فارس وشعوره بالالم لأنه كان يحلم بسويد آمن والبلد الذي يحميه من الخوف والهلع الفارغ وعدم سماع ازيز الرصاص ورائحة الموت في بيروت.

وعندما جاء زوزو الى السويد كان جده هو المعلم الاول والمربي له، وهو نفسه الذي مثل دور الاب في فيلمه الاول «يلا.. يلا» ويعتبر زوزو جده الفيلسوف الذي يعطيه ويملي عليه النصائح لحمايته من المتوحشين في الحياة، وفيلم زوزو ذات مسحة كوميدية وتبرز فيه الكثير من ملامح القيم الانسانية والمعاني الهادفة والجميلة وقيم التعامل والاختلاط مع الآخرين والاندماج ضمن بوتقة الثقافة السويدية والعلاقات الاجتماعية والانهار والذوبان داخل اسرة كيان المجتمع السويدي وفق العلاقات الانسانية النبيلة، والفيلم ذات رسالة مهمة للبشر وكيفية التعامل بطبائع بشرية فيها نوع من المزاج الراقي والفكاهة والمزحة، وبما ان الفيلم هو سيرة ذاتية لطفولة المخرج يوسف فارس ويمتاز بقيمته الفنية والواقعية، طفولة في زمن الحرب بيروت واجواء الحرب وحالة الناس والحياة المسيئة والجامدة في زمن الحرب ينتهي كل شيء وتداس القيم الانسانية وتسود لغة الرصاص والمدافع وجحيم الانفجارات.. بيروت الملاجئ والاقنعة الواقية، لا ماء ولا كهرباء كل شيء مات ومعرض للموت.

زوزو ترك ملاعب كرة القدم وترك ذكريات مليئة بصور الطفولة ومشاكسات الاصدقاء والتجأ الى السويد بحثاً عن الحماية ومنافي المدرسة وجد حياة العزلة والغربة ومحاولة التكيف مع الواقع الجديد. تمتاز افلام يوسف فارس بموضوعاتها الجميلة وانها جذابة وترضي الجمهور السويدي وكذلك المهاجرين لواقعيتها..

والفيلم عبارة عن ذكريات الطفولة واشباح واحلام الموت.

لقطة من فيلم «زوزو»

ترى انهم يحاربون نجاحها بالتشهير بها

نانسي عجرم: الصور العارية التي انتشرت على اجهزة المحمول لا تخصني

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من محمد عاطف:

في اتصال هاتفي من بيروت أبدت المطربة نانسي عجرم انزعاجها الشديد من الشائعات التي تتردد عنها في مصر اهمها ما يرسله الشباب لبعض عبر رسائل الموبايل لصورة نانسي وهي عارية في ناد صحي وتمارس بعض الأعمال النسائية داخل هذا النادي.

قالت نانسي عجرم وهي في حالة انفعال شديدة: علاقتي بمصر والمصريين قوية جدا.. لأنني حصلت على ارتباط قوي معهم منذ أول فيديوكليب لي وهو «أخاصمك آه.. أصالحك لا».. وانتشاري للعالم العربي بدأ بقوة من مصر.. ولذلك قدمت مؤخرا للمصريين أغنية «ملوك الجدعنة» التي كانت مثار تفاؤل كبير لهم في كأس الأمم الأفريقية الأخير وعرضت في جميع مباريات الفريق المصري القومي.

أضافت: فوجئت باخبار بالصحف والمجلات تؤكد على ان صورتي على اجهزة الموبايل داخل ناد صحي جعلتني في حيرة من طريقة التقاطها وأنا في هذا المكان.. وإن الأمر تطور إلى قيام مدير اعمالي جيجي لامارا برفع دعوى قضائية ضد هذا النادي الذي التقطت فيه الصور لي وتم تسريبها إلى الشباب في كل مكان وبالطبع ذلك يعني الاستهتار من جانبي.

استطردت قائلة: طبعا هذا الكلام عار من الصحة.. وإنها مسألة حقد من البعض ضد نجاحي رغم أني لا أهتم في حياتي إلا بأعمالي التي حققت فيها نجاحا كبيرا أدى إلى انتشار الحقد من البعض.. وكنت اتوقع أن من يغضب بسبب نجاحي ينافسني بتقديم أعمال أفضل وانجح من اعمالي.. لكن أن يكون ذلك باسلوب رخيص ودنيء للتشهير بي فهذا ما أرفضه تماما.. إلا سمعتي لن أرضخ أمام من يرغب في تشويه اسمي الذي اجتهدت حتى يكبر ويصبح محبوبا لدى جمهور الشعوب العربية.

وقالت: المسألة بدأت تزداد تعقيدا في الوسط الفني بعد هذا المستوى الهابط في عمل حروب ضد الناجحين في الوسط الفني.. وهذه لبست الشائعة الأولى ضدي.. منذ عدة أشهر أطلقوا ضدي شائعة مغرضة دخلوا فيها الدين حتى يكرهني الجميع.. وبعد أن ثبت فشل محاولة الإطاحة بي.. هبط الحاقدون فترة ثم خرجوا بأكذوبة رسائل الموبايلز التي دافع عني المحبون لي وأنكروها تماما وهذا ما جعلني أشعر بوجود أناس يرفضون هذا الهراء الذي يحدث ويرفضون أحقاد الذين يمتلئون بالأمراض النفسية.

أكدت نانسي أنها لم تدخل هذا النادي المزعوم والذي حدث هو استخدام لتكنولوجيا الصورة المنتشرة حاليا حيث تم تركيب صورة لوجهي على جسد فتاه أخرى لا اعرفها بالطبع وتم تركيب الوجه على الجسد من اجل التشهير بي.. والدليل على ذلك أن هناك فيديوكليب للمطرب يوري مرقدي مع السندريلا الراحلة سعاد حسني تم خلاله وضع وجه يوري على جسد حسين فهمي في أحد أفلامه مع سعاد حسني.. وظهر الفيديوكليب كأنه مصنوع حديثا وأن يوري مرقدي شاركته سعاد حسني الأغنية!

أشارت نانسي عجرم إلى وجود شائعة أخرى تقول أنها مريضة بأحد المستشفيات المصرية وهي تنفي ذلك تماما وتقول: إنني حاليا في بيروت ولدي جولة كبيرة سأقوم بها في بعض الدول العربية والأوروبية.. والشائعة تحاربني بشكل أعتقد أنه لم يحدث من قبل مع أي فنانة أخرى.. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تصاعد نجاحي.. وهو ما يبعث على الطمأنينة إلى داخلي أنني أسير على الطريق الصحيح.. وليس لدي الوقت كي أرد على كل شائعة أو مشكلة يفتعلها لي البعض لانشغالي بأعمالي حتى أحافظ على النجاح الذي وصلت إليه.

نانسي عجرم

فضائيات

لو اتصلت بهم لقلت: جمال مبارك يتحدث تلفزيونيا لأول مرة

سليم عزوز*

■ احترت، واحتار دليلي، في السبب وراء ظهور جمال مبارك تلفزيونيا في الأسبوع الماضي، حيث استضافه برنامج (اتكلموا)، وربما يكون هو من استضاف هذا البرنامج، ولا فرق، لان العملية في بيتها، فالسيدة لميس الحديدي مقدمة البرنامج، كانت عضوا نشطا في حملة الدعاية للوالد أبان الانتخابات الرئاسية، وهي حرم شقيق عماد أديب، الذي فتح حملة الرئيس مبارك بحوار تلفزيوني معه، علقنا عليه في حينه بمقالين في هذه الزاوية، احدهما كان قبل بثه، والثاني عقب البث.

البعض قال ان سبب هذا الظهور ـ الذي لا سابقة قبله ـ يرجع الي ما ذكره الأستاذ محمد حسنين هيكل في حوار صحافي، أكد فيه ان مصدرا مطلعا اخبره ان عملية توريث الحكم يتم الاستعداد لها من الان، وان انتقال السلطة من الأب إلي الابن ستكون قبل نهاية هذا العام، وقد جاء جمال مبارك لينفي وجود نية او رغبة لديه في الترشح لمنصب رئيس الجمهورية، ويكون النفي واضحا وصريحا.

منذ أقل من شهر تقريبا، كنت اجلس على مقهى درجة عاشرة بوسط القاهرة، عندما اخبرني احد الأشخاص العاديين من تحالف قوى الشعب العامل، بسيناريو كامل لعملية التوريث على النحو الذي ذكره هيكل، ولم يكن مصدرا مطلعا او عليما، الأمر الذي يعني ان مصدر (الاستاذ) سبق ان ردد هذا الأمر في شوارع وحواري القاهرة، حتى وصل للعامة والدهماء، والذين نقل احدهم لي هذه المعلومات، فنصحته بأن يتغطى وهو نائم.

لا استبعد ان يكون الحوار قد تم بإلحاح من لميس الحديدي، وفي اعتقادي ان مثل هذا الحوار السبق هو هدف لأي إعلامي ناجح، او حتى فاشل، ليظهر أمام الكون بأنه من أهل الحظوة، وليس تبدو من برنامجها أنها (لحوحة)، فضلا عن أنها من أهل الثقة، ولولا ذلك لما كان قد وقع الاختيار عليها ضمن فريق الدعاية للرئيس مبارك.

في بداية البرنامج أعجبتني (ليس) في طريقة إلقاء الأسئلة، فلم تتعامل على طريقة المذيعين السفرجية (حضرتك.. وسعادتك.. وسموك.. وغبطتك)، فضلا أنها أبدت جدية لازمة في هذا النوع من الحوارات، وقد عقدت النية ان أشيد بها، صحيح انني سبق وان انتقدتها في هذا المكان الطيب المبارك، الذي يستمد هذا السمو من انني أشرفه مرة كل أسبوع، إلا ان شعاري في الحياة الدنيا: ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا. وليس بيني وبين ليس خلاف على الميراث، او لأنني أنافسها على منصب وزير الإعلام، وإذا كانت قد حصلت علي برنامجها التلفزيوني مجاملة، فيشفع لها ان (نيرفانا) تمت مجاملتها بنقلها لتلفزيون الريادة الإعلامية، بعد تهجمها على ايمن نور، وأثبتت فشلا منقطع النظير.

لكن لأن الحلو لا يكتمل، فبعد مضي أكثر من نصف وقت البرنامج نسيت ليس الحديدي انها تجري حوارا تلفزيونيا، وانتقلت من خانة المذيعة المحاورة، الى انبهار ربات البيوت، وخفة مذيعات المنوعات، ربما لأنها سعت الى تقليد هالة سرحان، وقد تكون معجبة بشخصيتها لأن هالة كانت تترأس ليس في مجلة (كل الناس).

ليس كانت في البداية موفقة، فقد تحول حوارها الى محاكمة لنجل الرئيس، وللحزب الحاكم، وهي محاكمة رقيقة بالطبع تتناسب مع كون القاضي من الجنس اللطيف، ولعلنا نشاهد برنامج (الاتجاه المعاكس) عندما يغيب عنه مقدمه فيصل القاسم، ويترك مهمته لمذيعات بالقناة، يحاولن المحافظة على شكل البرنامج، ومع هذا فشتان بين أداء رجل غضنفر، يكاد يقوم من مقعده ويمسك في زمارة رقبة احد الضيوف فيرديه قتيلا، وأداء مذيعة رقيقة، تحاول ان تكون عنيفة بدون جدوى.

لقد قالت ليس لجمال مبارك انه لا توجد ديمقراطية داخل الحزب الحاكم، وان اختياراتهم في الانتخابات البرلمانية الأخيرة لم تكن سليمة، وان لجنة السياسات ما هي الا (مكلمة) وأنها تضم أصدقاءه، وهي التي تعين الوزراء، ورؤساء تحرير الصحف الحكومية، وواجهته بما يردده الناس من انه بعيد عن الشارع، وانه فتح القطاع الخاص على السياسة، وانه وراء انهيار البورصة قبل عدة ايام، وان تعديل المادة 67 من الدستور تم بشكل يسمح له ان يخوض انتخابات الرئاسة بمفرده، وبدون منافس.

ولم تمهد لأي سؤال من هؤلاء بـ(حضرتك، وفخامتك، وسيادتك)، وقد كان جمال نفسه حريصا على ان يكون (البساط احمدي)، فعندما خاطبته الدكتورة منى ذو الفقار بلقب (الاستاذ) قال لها قولي (جمال) من غير ألقاب، وقد صار الحوار على هذه الوتيرة الى ان انضمت لميس الحديدي الى قوافل ربات البيوت، على النحو الذي سنبينه بعد قليل!

بوصفي من مشجعي اللعبة (الحلوة) فإنني أقول ان البرنامج مثل (فرشة عبقرية) لجمال مبارك، ونجح في تقديمه للرأي العام، على انه شاب مثقف، ليس متعاليا على الناس كما يشاع عنه، ولا يفزعه الرأي الاخر، ولا يضيق ذرعا بالمختلفين معه. فعندما ذكرت مقدمة البرنامج واقعة استقالة الدكتور أسامة الغزالي حرب من لجنة السياسات وهجومه عليها، لم يتجاوز، ولم يسئ إليه، وإنما قال من الجائز ان تختلف الرؤى. لدرجة ان ابنتي التي لم تتجاوز الحادية عشرة من عمرها، والتي تعيش في دور المثقفة، وربما المفكرة، فتعبث في كتبي بحجة أنها تقرأها، وتتجاهل مذاكرتها بحجة أنها مشغولة بقراءة الصحف سألتني بلؤم فطري: .. وماله جمال مبارك. وقد نظرت إليها شزرا ولم أعقب.

ولأن هذه (الطلة) لجمال مبارك أضافت الى رصيده، فقد اعتبرها البعض تمهيدا لما قاله الاستاذ هيكل – نقلا عن مصدره المطلع – من ان هذا العام سيشهد توريث السلطة في مصر، وان مبارك الأب اذا كان اختار عماد أديب ليحاوره تلفزيونيا ليدشن بهذا الحوار لحملته الانتخابية، وقبل الهنا بسنة، فان جمال قد اختار زوجة شقيق عماد ليبدأ بالحوار معها التمهيد لعملية قفزه على منصب الرئيس، ربما من باب التفاؤل بهذه العائلة ومشتملاتها، لكن جمال مبارك أنكر في نهاية البرنامج وجود نية له للترشيح.

في الواقع انه لو أقسم جمال مبارك على الماء فتجمد، وقال انه لن يترشح في الانتخابات القادمة، فلن يصدقه احد في الشارع، حتى لو شاهدناه يطير في الهواء، ويمشي على الماء كما يقول المتصوفة. وعن نفسي لو حدث التوريث فسوف اترك البلد واهج ولو الى دارفور وأعيش مع الجنجاويد، فمصر ليست تراثا او عقارا، قالها الزعيم احمد عرابي في مواجهة الملك، وانهى مواجهته بقوله: لن نورث بعد اليوم.

لكن اذا استبعدنا الظن السيئ، وتعاملنا على ان هذا البرنامج قدم جمال مبارك بصفته الحزبية، وليست هناك أهداف باطنة، فهنا يمكننا ان نقول ان الناس تلقته من هذه الزاوية بقبول حسن، لكنني وبصفتي متابعا لنشاطه، فانني لم آخذ الأمر على عواهنه، ولهذا حاولت الاتصال بالبرنامج، ولمدة ساعتين، لكن منحوس أنا. في الوقت الذي تسنى فيه للطفلة (ياسمينا) التي تبلغ من العمر عشر سنوات ان تتصل لتسأل (عمو) جمال عن هوايته عندما كان صغيرا في سنها، ولا ادري لماذا انتابني إحساس بأن (ليس) ستقوم بنهرها، على أساس ان (عمو) لم يكن صغيرا في حياته، فقد كانت سيادة مقدمة البرنامج في هذه (اللقطة) قد انتقلت من مذيعة جادة الى طائفة ربات البيوت، حيث تهللت في بداية المكالمة، وأعلنت أنها سعيدة لان (ياسمينا) لا تزال مستيقظة حتى الآن، لتوحي بأن الأطفال لم يأووا الى فراشهم حتى يتمكنوا من مشاهدة (عمو) جمال. عندي عادة قديمة، وهي ان أي برنامج تليفزيوني يتم بثه على الهواء مباشرة، ويضع أرقام تليفونات للجمهور ليتصل من خلالها، فإنني ألتقط الأرقام، واشغل نفسي طوال مدة البث بالاتصال به، لاكتشف بنفسي حجم (الاونطة)، ولكي أتعجب لان من المذيعات من يتلقين اتصالات من معجبات، بحلاوتهن، ورشاقتهن، والرد المتعارف عليه ان تطأطئ المذيعة رأسها من باب تواضع العلماء وهي تقول: شكرا يا حبيبتي. وفي الواقع انني في كل مرة اتصل فيها فإنني استعد لان أقول بأنني فقط أتأكد، ولا نية لي في مداخلة، وشكرا يا حبيبتي. ولكن لم يحدث في أي مرة أن أحدا رد علي.

وقد كان هذا هدفي عندما بدأت الاتصال ببرنامج (اتكلموا)، لكن قلت في عقل بالي، ولماذا لا أتكلم، والأخت ليس تحثنا من خلال اختيارها لاسم برنامجها على الكلام؟ لقد وضعوا رقمين للاتصال، والتقطت احدهما على ثلاث مراحل، فقد كان يوضع ويرفع سريعا، وظللت اتصل طوال فترة البرنامج، وكان الهاتف مشغولا على الدوام.. منحوس انا ولا مؤاخذة، مع ان (ياسمينا) ذات العشر سنوات تمكنت من الاتصال، ومع ان منى ذو الفقار التي قال جمال مبارك أنهما معا باستمرار في الحزب، اتصلت وسألت سؤالين دفعة واحدة، كما اتصل صلاح من المنوفية، وهبة من القاهرة، ومحمد من أسيوط، ومجدي الجلاد من الأستوديو.. أرأيتم إلى النحس الذكر؟!

طشة الملوخية!

■ لو تمكنت من الاتصال كنت سأقول كلاما كثيرا، لا تسمح به مساحة هذه الزاوية، لكنه يدور حول التناقض بين فعله، وكلامه قبل خمس سنوات، عندما كان يشق طريقه بصعوبة داخل الحزب الحاكم، ليجد له موضع قدم فيه، في ظل تكتل الحرس القديم ضده، ووقوف والده على الحياد وقتها، ومن هذا الكلام ان الشعب يريد التغيير وينبغي ان نكون مع الشعب، وكيف أنه وبعد ان دان له الحزب وتخلص من هذا الحرس، إذا به ينحاز إلى الإصلاح الشكلي، ويختار من العناصر أسوأها مثل المجموعة التي اختارها لرئاسة تحرير الصحف الحكومية، من عينة صاحب الكتابات الرصينة، حول (طشة الملوخية) المحروم منها الرئيس، من اجل الشعب، ونعم التضحية. ومثلهم في مجلس الوزراء، وقد مثل اختيار (معظم) هؤلاء، وهؤلاء طعنةً في مقتل لفكرة التغيير!

لكن لا بأس فمثل هذه المداخلات المتفق عليها تحدث في أحسن العائلات، اقصد التلفزيونات، والعبرة بالنية.

الشحتفة

■ كنت قد قررت ان أصول واجول في الجزء الذي انتقلت فيه ليس الحديدي من دور المذيعة الجادة، الى محاولة تقليد مذيعات المنوعات، من طراز هالة سرحان، لكن المساحة انتهت، لأكتفي بما ذكرته عندما استقبلت تليفون (ياسمينا) التي ظلت مستيقظة حتى تشاهدها وهي تحاور (عمو) جمال. معذرة فأنا احسد (ياسمينا) لأنها نجحت فيما فشلت فيه.

* كاتب وصحافي من مصر
azzoz66@maktoob.com

وارضيات